نـافـذة

سقوط الثقافة

العربية مما هي عليه إلى الأدنى، أقول ذلك لأنها لم تتربع يوماً على عرش، أو أنجزت مجداً أوصلها إلى قمة، أو نستطيع أن نقول عنها: إنها أضاءت بحضورها على الحضور، فهي بقيت بينهم، تتلقف مسيرها، أو تبحث عنه.

الكثيرون للأسف ممن استشرقوا أو استغربوا، لم يخرجوا من عباءات ما لبسوه، ولذلك بقوا في حيز التأخر الثقافي، لا إبداع في أجناس الأدب، لا مذاهب في الفلسفة، ثقافة التسول والمتاهات انخرطوا فيها، وفرزوا أنفسهم وأقلامهم وأفكارهم ومنتجهم بين الطوباوية، أو الفوضوية، أو إلى التبعية السياسية، أما الأشكلة الكبرى فتكمن في المشاريع الدينية التي ترفض أي ثقافة، لا تتبنى مشاريعها، ومهما بلغ المثقف من شأن تفجره من عمقه الفكري، أو تعيده إلى انتمائه الروحي، وإن خرج تتهمه بالتضاد معها، والسبب الرئيس أن الثقافة بدلاً من أن تمتلك مشروعاً يطور العقل، ويهذب الحركة والشكل، نجدها استمرت تقليدية ومقلدة متمسكة بفرضية النخبوية من دون مواكبة التطور، فماذا فعلت حتى اللحظة غير المماحكة من مبدأ الجدل اللفظي، أو البحث الماضوي، أو الدوران في فراغ اللحظة.

هنا أسأل: هل امتلكت الطبقات الثقافية الاستقلال الذاتي الذي لا يعني أن تفصل وجودها عندما تعتبره نخبوياً؟ أم تنشئ حيزاً منطقياً في اعتقادها، وهي التي استوردت قدراتها أو صقلتها، بما كسبته من العوالم الأخرى، لتحاول بعدها إلباسها لبوسها لمجتمعاتها؟

مثقفنا يجسد العالم القديم، واعتمد على الكلاسيكية ليبقى وحيداً من دون تواز مع المشاريع الثقافية العالمية الأولى والثانية وحتى الثالثة؛ أي الشمال وأمريكا اللاتينية وآسيا، وحتى مع إفريقيا، وهذا ما جعل ثقافتنا قاصرة عن قيمة رؤى الثقافات الأخرى. وكما قلت: إن مثقفنا بقي مزخرفاً، أو مجملاً، أو متلاعباً مثيراً في اللغة، بحكم أن لغتنا العربية غنية بتشابه المفردات، وهذا يعني بمصارحة، أنه لم يقدر حتى اللحظة على المنافسة الثقافية، أو رفض أي نظرية ثقافية أو فلسفية، أو حتى الإبداع في إحداهما، إنما اشتهر بالمعارضة اللاواقعية، وآمن بالثورات التي يكون محركها خارجياً أو انقلابياً استهلاكياً، وفي الحالين الجوهر انتقامي انفضاضي، ومستندها الثقافي أيضاً خارجي، وبدلاً من أن يمتلكوا زمام أمور استئناف التاريخ من الحالة التي توقفوا عندها، ذهبوا وكما ذكرت إلى التقليدية، أو إلى الانتقائية، فإما أن تراه مع السلطة السياسية، إذا انتفع منها يؤيدها، كمستسلم لها، أو يعارضها حتى العداوة المطلقة لحظة سحب الامتيازات، وفي الحالتين أيضاً تجده محرضاً، أو مبتعداً عنا من باب المصلحة الفردية، فهل الثقافة بهذه الشاكلة؟ أم إن مسارها مستقل، ويعمل بالتوازي مع مسار الدولة؟ ولكن بارتباط وثيق مع الجماهير وفهم عميق لحركتها التاريخية ومتطلبات حاضرها ومستقبلها، طبعاً لم يحصل هذا أبداً، فمنذ أن بدأت حركات التحرير العربي، تعاني نير الاستعمار التركي، ومن بعده الفرنسي والإنكليزي والإيطالي، وقبلها الهولندي والبرتغالي، وبعد كل ذلك وفي زمن التحرير تستعبده الثقافة الأمريكية المبهرة في حركاتها التي تشده إليها أبصار العالم بين الحرية والديمقراطية والديكتاتورية والمعاني الزائفة والبراقة التي تحمل الخداع العقلي قبل البصري.

الثقافة ابنة الوعي، فهل وعى العرب ضرورة الإبداع لأجيالهم بدلاً من اعتماد شيخوخة فكرهم وإبعادهم عنها؟ هل بنوا لهم مسارات واقعية وصادمة، كي تعيدهم من الانحراف إلى جادة الصواب؟ كي يروا ما لم نره؟ في الحقيقة إن الجميع مازال مستمراً في ذاك البناء، الظاهر منه حداثوي، والمخفي ماضوي، لذلك تحيا الثقافة العربية حالة سقوط مستمر، كما هو حال الأمة التي انحدرت إلى الأسفل من نهايات إنجاز حضارتها وحتى الآن، وهي مستمرة في التشرذم والسقوط، ومن بقي فيها يسر على حافة الهاوية.

الثقافة العربية تائهة بين ما قبل وما بعد، لذلك نجدها في حالة سقوط دائم، لأنها إن لم تتبع السياسة تبعت الدين، وإن لم تتبع الدين تبعت هواها الأناني، وبعد أن عملت على إسقاط ثقافة الكفاح الإنساني التي تدعو للبناء والقيم، حاولت ومازالت تحاول لإسقاط ثقافة المقاومة للعدوان الصهيوني على الأمة، ولم تعزز ثقافة العروبة، فهددت ثقافة القومية بدلاً من أن ترفع شأنها، كيف بها تكون على هذه الشاكلة.

لم تستطع الثقافة العربية أن تفصل بين الدين والإيمان، على الرغم من أن مثلث القداسة لم يخاطب الأديان، بل تعامل مع الإيمان، ولم يدرك المشتغلون في حقول الثقافة والأديان أن الإيمان يختص بإنسانية الإنسان، لم يؤمنوا بأن الله جوهر الإنسان، وأن الإنسان بناؤه الذي بناه، كي يسكنه، ومن ثم يشغله، لأنه يمثل القوة الذاتية المشغلة له، مثله مثل المفاعل الذري الذي ينتج الداء والدواء، ومن دونه لا حركة ولا حياة.

تاهت الثقافة العربية بين الليبرالية والماركسية والديمقراطية والديكتاتورية، بين ماركس وإنجلز وغوته ونيتشه، بين بودلير وموليير، بين جان جاك روسو وسارتر، بين داروين الزاحف والراكع والواقف، وبين العالم العلوي والسفلي، بين السادية والمازوشية، بين اللواط والسحاق، وبين الأمراض النفسية التي انحصرت بين اللذة وما فوق مبدأ اللذة القادمة من فلسفة فرويد، ونحن مازلنا نحجب العقول، قبل أن نحجب الرؤوس التي تاهت بين جاحظ البخلاء والشنفرى سيد الصعاليك.

تاه الجميع بين المعتقد والاتجاه، فتاهت الثقافة، وسقطت، لماذا؟ لأنهم لم يصلوا إلى مفهوم ابن عربي الأندلسي، ولا إلى ثقافة بن رشد، ولم يعترضوا على المفكرين الإسلاميين الذين جهزهم الغرب، مثل الشيخ محمد عبده ومالك ابن نبي، لكل هذا ها هم اليوم يعودون، أو يطلبون العودة لأربعين العشق، جلال الدين الرومي، ومفاهيم أن الله في الإنسان حل، ومن دون فهم ذلك لا حل، صلبوا الحلاج لأنه قال الله في جبتي، والقرمطي القائل: «أنا الله والله أنا»، أي إنهم لم يدخلوا إلى فلسفة الجوهر. هل ندرك معنى الثقافة، وإلى أين تتجه، ولماذا تسقط، وتسقطنا معها؟ سقطت الثقافة العربية لأنها ثقافة خضوع للسياسة، كيف بنا لا ندرك الحاصل، ولا نستعد للمستقبل بثقافة خلاقة، لا تستجدي الجوائز من الغرب؛ بل تصنعها لها جماهيرها، ثقافة لا تحيا مشاريع التكاذب الخطرة على شعوبها.

هل نحن قادرون على تغيير الفكرة عنها؟ أم إننا سنبقى منافقين تحت مظلتها؟ لنعترف أين نحن؟ ولنخرج من ذاك التأخر التاريخي المصرّ على إسقاط ثقافتنا.

د. نبيل طعمة

سيتي سنتر «سوق البسطة»... آلام بشرية حيّة تعيش في رواية

بين خدر نشوة المتعة وأنين الألم... فيها البشر يعيشون اللحظة ولا يعنيهم أمر المستقبل

سوسن صيداوي

أسامة كوكش

العالم كلّه مهما اختلف بحضاراته أو شعوبه، بلغاته أو ثقافاته، هو واحد، فليس فيه من مدينة فاضلة أو مدينة ظالمة، ليس فيه فقر مدقع، أو غنى فاحش، لأن فيه من كل شيء أشياء، في العالم كلّه الحب والأمان والسلام والخير والعطاء والكرم، وبالمقابل فيه أيضاً الكره والرعب والإرهاب والشر والبخل، إذاً في العالم كلّه الأبيض والأسود. ومن العالم كلّه رواية سيتي سنتر «سوق البسطة» للروائي أسامة كوكش، التي أحداثها تدور ضمن مربع مكاني، هو سوق البسطة، الذي يمتدّ الزمن فيه عبر أشخاص منوعي التدرج الاجتماعي، الثقافي، الأخلاقي، المهني حتى المادي، وتتقلّب فيه الأحداث بتقلّب صفحات الرواية البالغة مئتين وثمانياً وثمانين صفحة.

سوق البسطة

في مكان جمع البؤس والفرح، الجوع والشبع، الظلم والعدل، الضحك والأنين، الفجور والعفة، الصراخ والصمت والكثير من المشاعر التي عبّر عنها الراوي عندما خلق شخصياته التي كانت تتحرك ويعيش مع مضي الأيام المتتالية ضمن سلوكيات متباينة بحسب المواقع الوظيفية، المهنية، وحتى الاجتماعية. «سوق البسطة» هو جامع الأحداث رغم ثبات أركانه، وهو كما وصفه الكاتب بأنه «المكان الذي لا تحكمه قوانين المدينة أو قوانين المناطق الراقية فيها، لكن مشكلة التسول في سوق كهذا دخله متدنّ قياسا إلى بقية مناطق المدينة، فمن يبع ويشتر فيه فليس أكثر من متسول تحت مسميات وظيفة أخرى»، وفي مكان آخر وصف السوق على الشكل التالي «في السوق غالبا لا أحد يختار اسمه، عمله أو موقعه، مرّ على المكان عبر عشر سنوات مئات الألوف من البشر، الرحيل كان السمة الدائمة لكل هؤلاء، طال الزمن أم قصر، كانت الوجوه والأسماء تتبدل، رغم أن من يجد مكانا فيها يعتقد أنه سيعيش الأبدية على إسفلت ساحتها المشبع بالحفر المأوى بوحل الحياة نفسها، أفضل ما في علاقات السوق أن التاريخ لم يكن شيئاً ذا أهمية على الإطلاق، فلا أحد يهتم أو يسأل الآخر لماذا وكيف انتهت به دروب الحياة إلى سوق البسطة، أما المستقبل فهو فكرة غامضة لا تعني شيئا، كل ما يهم هو اللحظة في زمن العبور هذا».

شخصيات الرواية

حكايا سوق البسطة تسردها لنا المشهدية الحركية لشخصيات تتنقل في إطار الأحداث، وفي الرواية شكّل الروائي عشرات الشخصيات المختلفة من رجال ونساء وأطفال، فيما يمكن تصوره من اختلاف، وتمضي في حكايتها مصوّرة بطريقة رائعة وهي:عبد الله المأمون، أبو داغر، ناجي، سجية، زيرو، غازي، أبو الخير، راغب السعدي وآخرون غيرهم ممن يعملون ويعيشون في السوق، وأروع ما في الأمر انتقال الراوي بين الشخصيات من شخصية إلى أخرى ببساطة مدعّمة بدقة غير متناهية، من دون إحداث أي خلل أو لبس على القارئ ضمن مجريات الوقائع المتحركة، فمثلا جاء وصف شخصية ناجي أبو داغر على الشكل التالي «ناجي منذ يفاعته كان شرسا لا يهادن، يدخل شجارا بخفة قط، يضرب بقوة غير متوقعة من شاب بحجمه، أطلق عليه والده اسم «أبو داغر»، أخذ يتباهى به، يمتدح براعته في استخدام السكين، بات الشاب الأقرب إلى قلب والده، خاصة عندما يحمل له بطحة عرق استولى عليها من هنا أو هناك».

ظلم المرأة والطفولة

تصوير البؤس في حياة البشر كان لغة تحدث بها الراوي عبر شخصياته، الذي تتفاوت نوعيته ودرجته من شخصية لأخرى، فمثلا في شخصية «سجية» وهي امرأة تجاوزت الأربعين، وكانت اعتنقت التسول في حياتها منذ كانت طفلة رضيعة في أسابيعها الأولى في الحياة، لأن أمها اعتادت أن تضع في حضنها آخر مواليدها مكررة بضع كلمات تدّعي فيها يُتم أولادها وجوعهم ومرضهم، وهذا بالطبع على مرأى والد سجية الذي يبقى مرتاح البال لما تجمعه زوجته وأطفاله من التسول، وبالعودة إلى سجية فهي امرأة بليدة، كسولة في كل شيء؛ المشاعر، الكلام، العمل، نظافتها الشخصية، التسول منذ الصغر وتبعاته من سجن وغيره من أمور جعل منها امرأة قاحلة لا تحمل بين جوانحها أي اهتمام.

ومن بؤس البشر شخصية «زيرو» الطفل الذي بدأ عمله في السوق في السادسة من عمره، لأن أباه ارتأى أن قارعة الطريق أفضل وأكثر نفعا من تعليمه، وكان عمل هذا الطفل البائس أن يحمل كيسا قماشيا للطحين ويضع فيه ما يقتنصه مما يسقط على الأرض من فواكه وخضراوات وحتى علب معدنية أو بلاستيكية، وطبعا اكتسب زيرو اسمه هذا، في يوم عندما ذهب إلى السينما كي يرى فيلم بطل المكسيك الأسطوري «زورو»، فتوجه من فوره إلى سوق البسطة واشترى جزمة بلاستيكية من أرخص الأنواع وقبعة قش بالية وأطلق على نفسه اسم «زورو»، الذي تحول بعد زمن قصير إلى زيرو. بؤس الحياة احتضن براءة هذا الطفل كي يزيدها قسوة وظلماً، لأنه لم يفلت من يد أبي داغر الذي وجده فتى سيرغب به زوار السوق الليليين مقابل أموال كانت لهذا الطفل تعادل جزيرة أحلام.

ظلم الحياة لأبو الوفا

الرواية لم تكن قسوتها مفروضة على الفقراء، بل تمادت لتلقي بثقلها حتى على من كانوا من «أولاد الأوادم» ففي شخصية مالك أبو الوفا وهو سليل عائلة عملت في تركيب العطور لسنوات طويلة، لم يرغب بالعمل مع والده في دكانه رغم أرباحها الكثيرة، بل فضّل الاعتماد على نفسه ماديا، ووجد نفسه موظفا في مديرية الاستملاكات العامة. ولأن الرشاوى هي القاعدة الأساس المتبعة في علاقات العمل داخل المدينة في مختلف الدوائر العامة وحتى الخاصة منها، وفي غمار فورات محاربة الفساد التي وقع ضحيتها مالك، حسب قانون الأقوى والضعيف، تم الإقرار بأن مالك أبا الوفا هو الموظف الأنسب لتحمّل القضية التي كان شريكا بالفتات فيها لا أكثر، وللأسف أصبحت مسؤوليته وحده، ما دفعه للدخول في دوامة من الهستيريا والصراخ إلى درجة خروج الزبد من فمه، وحالته دفعته ليصبح رجلا هائما في شوارع المدينة، إلى أن وصل إلى سوق البسطة، على الرغم من محاولات والده وزوجته غير المجدية لعودته إلى منزله.

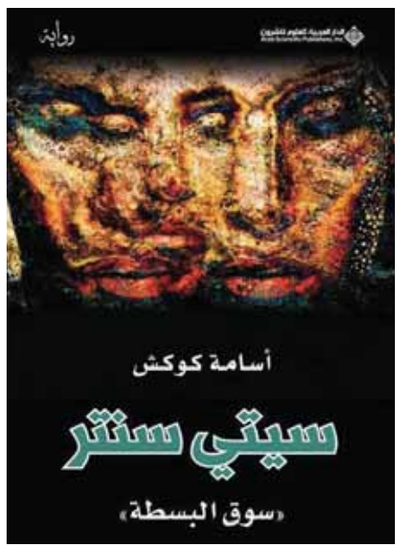

وردة والملك

من شخصيات الرواية أيضاً التي تسير بالحدث وتعيش لحظته غير عابئة بالمستقبل، شخصية وردة، وهي من أكثر فتيات فندق الرحاب الخاص انسجاما مع مهنتها، رغم أن جمالها محدود ولحم جسدها وافر أكثر من اللزوم، واسمها الحقيقي هناء، احترفت الدعارة عن سابق إصرار وتصميم وخاصة أنها نشأت في منزل تسود فيه سياسة غض النظر سواء من زوج أمها لمن يزور الأم حاملا ملابس ومواد تموينية، أو غض النظر من الأم لزوجها في ملاطفته لصديقاتها، حتى إن هناء لم تستهجن نظرات زوج الأم لجسدها، لكنها اختارت أن تنطلق خارج المنزل وتخوض مغامرات تجدي مالا، الأمر الذي مكّنها من أن تكون ركنا ثابتا في الفندق، كيف لا وهي عشق متعة «الملك»، هذا الأخير هو الضابط أبو غسان، وأحب أيام الشهر إليه هي أيام المناوبة الثمانية، لأنه خلالها يحصل خلال تجواله في أرض السوق، على المتعة التي لا تضاهيها متعة في الحياة وهي «السلطة».

الكتاب على البسطة

حال الدنيا ينقلب ويتغير، فمزاحمة التطور والتكنولوجيا تحارب الكتاب إلى جانب ما يعانيه حرّاسه من كتّاب وناشرين وبائعين ومثقفين، للظروف التي تمنعهم من مزوالة أعمالهم، بل وحتى تجبرهم على استبدالها، هذا ما سلّط عليه الضوء الروائي كوكش، في شخصية عبد الغني الشاعر، الذي خسر مكتبته نتيجة الهدم واستبدلها بقارعة الطريق كي يفرش عليها كتبه العزيزة في سوق البسطة، إضافة إلى ما يواجهه من الضابط أبو غسان أو الملقب بالملك من تهكم واستفزاز وانتقادات ليست بمحلها ولكنها مدفوعة من غرور السلطة.

بداية النهاية

الشرارات النارية التي اشتعلت في اتجاهات متعددة من دكاكين سوق البسطة، مكنّت أذرع اللهب من معانقة بعضها لبعضها الآخر كي تلتهم كل ما هو أمامها من دكاكين مصنوعة بمواد مؤقتة، الأصوات داخل كتل النار تحولت إلى عويل، وأصبح من الصعب التمييز بينها إن كانت لمشتعلين أم هاربين، وكانت غادرت النار بعدما لم يتبق على أرض سوق البسطة، شيء تقتاته.

المستمع هو المصدر الأول لإبداع المغني واستمراره في العمل

عبود عساف لـ«الوطن»: التمكن من غناء التراث أولاً ثم محاولة التجديد فيه لنشره حول العالم

عامر فؤاد عامر

تأثر ببيئة حلب الغنية بالتراث وبأصالة الموسيقا وتعلّم دروسها في معاهدها مبكراً. الفنان عبود عساف الذي لازم فرقة حلب للإنشاد مدّة ١٠ سنوات إلى أن غادر سورية متجهاً إلى لبنان وإنشاء معهد حلب للغناء والموسيقا، يعمل اليوم على إعادة تنشيط فرقة حلب للإنشاد والتي تعود بتأسيسها إلى العام ١٩٨٢، ومحاولة استعادة ألقها من خلال الحفلات التي قُدّمت مؤخراً في مهرجانات عربيّة ودوليّة في لبنان، وتونس، ومصر، والجزائر، والأردن، واليوم تحضر هذه الفرقة نفسها، وتستعد لإقامة حفلاتها في أميركا، وكندا، وأستراليا. وعن نشاط الفرقة، والمسؤوليّة التي يحملها يحدّثنا «عبود عساف» ويعود بنا في حديث حميمي عن أصالة الفنّ الطربي والموسيقي في حلب الشهباء.

• حدثنا عن معهد حلب الذي أسسته في لبنان وعن نشاطاته التي يعنى بها؟

معهد حلب هو الحلم الكبير الذي رافقني عندما غادرت إلى لبنان ومن أول يوم بدأت العمل عليه، وكانت الانطلاقة مع صعوبات شديدة، وتعثرات ماديّة، ولكن بالإرادة يمكن الوصول إلى الهدف، وفعلاً تمّ إنشاء المعهد في مدينة طرابلس، وفيه نستقبل الفئات العمريّة ما بين ٨ إلى ١٨ سنة، أمّا المواد التي تعطى فتنحصر على تراث حلب الشهباء من موشح إلى مديح إلى دور إلى قد، وهكذا وعند تخرّج كلّ دفعة من المعهد أقوم بالتحضير لأكثر من حفل يشارك فيه الطلبة والهدف منها الوصول إلى المستمع والتعريف بهذا اللون الطربي وإحيائه، وقد أصبحنا الآن في السنة الرابعة في المعهد من العمل المستمر.

• إلى أي درجة تؤثر البيئة في منح الفنان طابعه الحقيقي؟ وماذا عن تأثير البيئة الحلبية على شخصيتك الفنيّة؟

البيئة في حلب لها خاصيّة كبيرة جداً، ولاسيما لابن الحارة العتيقة فيها، حيث تستمع طوال سيرك في هذه الحارات إلى أصوات الغناء والعزف والمديح والإنشاد الديني، ومن الطبيعي في حلب أن تجد في كلّ بيت صوتاً جميلاً ومستمعاً أو عازفاً لآلة موسيقيّة، بمعنى أننا نجد بيئة وطبيعة لا نرى مثلها إذا جلنا العالم بأسره، ومن البدهي أننا كلّما كبرنا يوماً في حلب ستتعتق هذه الأمور في أنفسنا، ومن ثم سيولد العشق ورغبة التعلّم لهذا الفنّ الأصيل، لأن حلب هي أهم مراكز الموسيقا والطرب العربي الشرقي، كما تمتاز حلب بأنها الحاضنة والمصدرة لهذا الفنّ العريق. وأفخر اليوم بأنني أحد أبناء هذه المدينة الخاصّة جداً.

• خطك الفني يشير إلى دعم التراث والمحافظة عليه ونقله للأجيال القادمة. ألا تفكر بالتجديد أو ولادة عنصر فني جديد بالاعتماد على الصورة التراثية؟

التراث يُشعرنا بالقيمة الحقيقية للفنّ، فأن تنقل تراثاً بناه الأجداد العظماء في الطرب إلى الأجيال الجديدة فهذا شرف كبير ومهمة ومسؤولية تحتاج إلى العمل والاجتهاد، وأنا ألاحظ مدى استمتاع المتلقي فيما نقدّمه لهم حول هذا الفنّ العريق. طبعاً لا يمنع أن نُحدّث فيه بما يتناسب مع واقع التطوّر الحاصل في مجتمعاتنا، والأجدر بنا برأيي الشخصي هو أن نتمكن من تراثنا بشكل جيّد ثم نحاول صياغة أعمال جديدة تتناسب مع بعض المجتمعات التي نزورها خلال جولاتنا الفنيّة في أنحاء العالم.

• بين العمل في فرقة والعمل في خطّ فني شخصي مستقل فرق كبير، أين تجد نفسك اليوم في هذين النمطين؟ وهل ستجد مستقبلاً أنك ستلتزم في واحد منهما؟

أن أكون عاملاً في الفرقة شيء وأن أكون مؤسساً ومسؤولاً عنها شيء آخر، فكلّ ما أقدّمه وأنقله سأكون مسؤولاً عنه وحدي أمام أهل الطرب، ونحن نتكلم عن أعرق وأقدم الفرق السوريّة، فرقة «شيوخ الطرب»، ولنعد للحظات ونتذكر في العام ١٩٦٠ في إذاعة حلب التي رافقها أصوات أساتذة كبار أمثال المرحوم «محمد خيري» و«صباح فخري»، عندما كانت الفرقة في عهدتهم فقد وصلوا إلى العالم العربي والغربي بهذا الفنّ السوري الحلبي الأصيل، ومن ثمّ أصبح كل منهم له سيرته الخاصّة، ولونه المتميّز، وعلى هذا الدرب أسير اليوم متابعاً لما ورثت عن كبار أهل الطرب في حلب.

• كيف تجد جمهور التراث اليوم من قدود وموشحات وأدوار وغيرها؟ كيف يمكن المحافظة على بريق هذا التراث برأيك مع اكتساح الأغنية الهابطة للساحة وللفضائيات العربية؟

دائماً المستمع هو المصدر الأول لإبداع المغني واستمراره في العمل، وفي كل بلد زرته وقدمت فيه الطرب الحلبي وجدتُ رواداً كثراً له، وهذا يدل أن هذا اللون لن يموت مادام فينا من ينقله، ومن يستمع إليه، ومهما كان اكتساح الأغنية الهابطة للساحة الفنيّة فمن المستحيل أن تأخذ مكان القدود والموشحات الحلبيّة لأن الغناء الهابط ليس له جذور، ولا أصول موسيقيّة، وهي حالة زمنيّة قصيرة جداً. أمّا موسيقانا وموشحاتنا فلها جذور وأصول وقواعد، والأهم أن لها مكانتها العالميّة في طليعة الموسيقا الشرقيّة.

الشاعر جاك صبري شمّاس مكرم

الحسكة- دحام السلطان

مسيرة العطاء والإبداع التي عبرت أكثر من ثلاثين عاماً في شاعر الحسكة جاك صبري شمّاس، الذي تجلّت في لحنه الشعري حرفية الكلمة وجزالة الأسلوب المجبولتان بمنهجية الإبداع ونقاوة الكلمة وصدق الضمير، وتلك خصال قد قل نظيرها ومثيلها في شعرنا المعاصر وفرسان الكلمة فيه!؟ وهي التي قد عرفها مثقفو محافظة الحسكة وأدباؤها بشاعرهم المخضرم والكبير جاك صبري شمّاس، الذي نذر عافيته وقافيته وشاعريته بحماسته الملحمية المعهودة في خدمة التراب والوطن والأمة والقضية.

فالكبير جاك صبري شمّاس، حديث طويل مع الشعر وقصة مع القوافي لن تنتهي، وها هو اليوم يُشرق من جديد فكان ضيف أهل بيته في داره وبين خواصه وخلانه ومن جديد أيضاً، الذين آثروا إلا أن يحتفوا ويحتفلوا وعلى طريقتهم بعلامة فارقة لا يزال (الحسكيون) على مختلف مشاربهم الثقافية يشيرون إليها بالبنان، فأكدوا التكريم بصيغة «كرنفالية» لقامة ملحمية لم تترجل عن صهوة ديوان العرب بعد، وإن بلغت من العمر عتيّا، ونالت منها وطأة الحياة برواسبها ومنغصاتها ومطبّاتها الكثير..... الكثير.!

محافظة الحسكة وفرع اتحاد الكتاب العرب كانا عنوان حفل التكريم للشمّاس، في قاعة المركز الثقافي العربي بمدينة الحسكة، وهو المنبر الذي عرفه الشاعر جاك صبري شماس وشهد له صولات وجولات في رحلته الطويلة مع الكلمة والقصيدة، فكان محط الاهتمام والتقدير لجهوده الإبداعية والشعرية التي قدمها على مدى أكثر من ثلاثين عاماً.

وبهذه المناسبة قال محافظ الحسكة جايز الحمود الموسى: إن أبناء المحافظة بما يحملونه من مشاعر التقدير والاحترام والمحبة لشاعر أمضى معظم سنين حياته يسخّر قلمه خدمة لوطنه، ها هم اليوم جاؤوا ليقولوا له شكراً لجهودك المبدعة، التي أضحت بيننا مشعلاً أضاء دروب العلم والثقافة والشعر فترك بصمته الواضحة على الساحتين المحلية والعربية، فاستحق التكريم في كل محفل أدبي شارك فيه.

وأشار سليمان الناصر أمين فرع الحزب: إلى أن تكريم اليوم هو تكريم للعلم والإبداع والقلم الملتزم بقضايا الأمة والوطن وعربون محبة ووفاء لشاعر وهب معظم وقته يكتب عن الوطن والأمة ويمجد حضارتنا العربية والإسلامية، وبطولات جيشنا الباسل الذي يسطر أروع ملاحم الفداء في ساحات المعارك ليبقى الوطن مصوناً وعزيزاً.

وأوضح رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب الشاعر منير خلف: أن تكريم اليوم هو تكريم للكلمة الملتزمة والمشاعر الصادقة تجاه الوطن وأبنائه التي أظهرها الشاعر جاك صبري شمّاس في كتاباته ودواوينه الشعرية، وأضاف ما أحوجنا اليوم لكلمة المحبة والفكر والإبداع لتقف أمام أفكار الجهل والظلام التي يحاول أعداء الوطن نشرها.

وبيّن الباحث أحمد الحسين في كلمة أصدقاء الشاعر شمّاس: أنه ومنذ صدور ديوانه الأول، «جراح الخابور» عام ١٩٨٤ وحتى ديوانه الأخير «الأقصى الجريح» ما يزال يواصل سكب روحه ومشاعره على كلمات راح صداها يتردد في عقول وذاكرة قرائه، إنه شاعر نذر نفسه مدافعاً عن قضايا أمته، يبث روح النخوة في أبنائها للدفاع عن تراب سورية وحشد الطاقات لتحرير الأقصى الشريف من براثن الصهيونية.

وقدّم الشعراء والفنانون منير خلف وعلوش عساف وعلي الكعود وإيفيت تانو وعلاء الدين حسن وحسن حمدان وظاهر الظاهر تلوينات شعرية ولوحات فنية، عبّرت عن فخرهم بالشاعر جاك صبري شماس وتغنّت بحب الوطن وأمجاده وقائده الملهم وجيشه الباسل.

وعبّر الشاعر جاك صبري شماس عن أهمية التكريم ودوره التحفيزي في تنامي حالة الإبداع، داعياً أبناء الوطن إلى نشر المحبة وتعزيز الوحدة الوطنية للتصدي إلى كل ما يخطط له أعداء الوطن والأمة.

والشاعر جاك صبري شماس من مواليد الحسكة ١٩٤٧ يحمل إجازة في اللغة العربية، وهو عضو في اتحاد الكتاب العرب وله عشرات الدواوين الشعرية منها «جراح الخابور، وهواجس في أعماق شاعر، وعروس المدائن، ومحمد الدرة، وشيخ المجاهدين، وشمس العروبة والإسلام، وجراح الياسمين، والأقصى الجريح، وقد تم تكريمه في عدد من المحافل الأدبية والشعرية في سورية والوطن العربي وفي أكثر من مناسبة .